Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ذاته الذى يستخدم مثلاً فى حكاية "البيضة والدجاجة والقمحة والحدّاد إلخ" . ولكنّ الشّاعر لا يلبث أن يغرس الكلمة الأخيرة فى وجدان المتلقّى عندما يصبح "العام جرح ناغر في الضمير". هنا يوهم الشكل باستمرار صيغة التناصّ وتداخل السياقات، لكنّه لا يتمّ إلاّ على مستوى التماثل فى نموذج الإسناد بين اللّغة الفصحى والشعبيّة فى أساليب الأداء؛ حينئذ تلجأ الصيغة الشعريّة إلى حيلة القافية لإغلاق الدائرة المفتوحة وإشباع الجملة باكتمال الإيقاع، وكأنّ إغلاق القوس ليس كافياً لهذه الوظيفة. بيد أنّ القفزة المدهشة التى تقوم بها الأبيات التالية تحقّق واحداً من أنجح نماذج التناصّ فى الشعر العربىّ المعاصر دون حاجة لوضع الأقواس أو التقاطع عبرها :

عيون المها بَيْنَ الرصافة والجسرْ

ثقوب رصاص رقشت صفحة البدرِ،

ويسكب البدر على بغدادْ

من ثقْبَيِ العينين شلالاً من الرّمادْ

هنا ليس بوسع مدينة عربيّة أخرى أن تحلّ محلّ بغداد وعيون مهاها السّاحرة، فبغداد التى أصبحت مبغى يمتهن الحبّ انتهكت قداسة تاريخها العاطفى وخيّبت ظنّ شاعرها القديم "على بن الجهم" الذى يقال إنّها قد نجحت فى تحضيره وتثقيفه وترقيق حياته ولغته، حتّى نسى كلابه وتيوسه البدويّة، فقال فيها بعد الشطر الأوّل :

جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

لكن بغداد المظاهرات والثّورات الدامية تجعل عيون المها ذاتها :

ثقوب رصاص رقّشت صفحة البدر.

فتبرز أمامنا صورة الحداثة الشعريّة وهى تتمزّق لتجرّ وراءها حداثة الحياة، عبر هذا الإسناد الانحرافى المدهش. وتمتدّ صورة ثقوب الرّصاص فى صفحة البدر لتخترق ضمير الشّاعر بدر، فتجعله يسكب على مدينته الغادرة - بدلاً من ضوئه الغامر الحنون السحرى - شلاّلاً من الرّماد، وبدلاً من شعره الرّومانسى نفحة سيرياليّة محدثة . ويتجلىّ حينئذ أنّ التناصّ الذى يذهلنا لا يقوم بين السيّاب وهذا الشاعر البدوى المدجّن فحسب، وإنّما يقوم أيضاً بينه وبين كلّ من "إليوت"